جوانب من تاريخ أبناء الأقلية المسلمة
في مملكة أستورياس - ليون
حتى نهاية عهد الملك ألفونسو الثاني العفيف
٢٢٨هـ - ٨٤٢م

تقديم:

قليلة هي الكتابات التاريخية التي تعرضت لأحوال المسلمين وأبنائهم، الذين عاشوا في مملكة أستورياس - ليون، في الفترة المعاصرة لتاريخ المسلمين بالأندلس، منذ ما بعد الفتح الإسلامي، وحتى عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢ - ٨٥٢م)، ربما لما كان يحيط، بظروف، هذه المملكة الإسبانية الأولى، الناشئة من إرتباك وإضطراب، مما أدى إلى كثير من الجدل بين المؤرخين بشأنها.

وفيما يتعلق بنشأة هذه المملكة الإسبانية، فعلينا أن نعود إلى الوراء قليلاً، إلى بدايات الفتح الإسلامي، عندما تردد إسم بلاى Pelayo في الكتابات التاريخية، وهو الذى يحيط الغموض بأصله، وإن كان من المؤكد أنه هو مؤسس إمارة جليقية.

ويرى معظم المؤرخين أنه يرجع إلى أصول عريقة، وأنه إبن لفافىلا Fáfila (فاغلة)^(١) دوق قنطابرية، وكان الساعد الأيمن للملك لذريق Rodrigo، وأحد أكبر رجال حاشيته^(٢)، فلما دخل المسلمون الأندلس، أخذه من أهل أستوريس من جليقية، رهينة، فأقام بقرطبة فترة، ثم هرب منها فى عام (٩٨هـ/٧١٦-٧١٧م) فى ولاية الحر بن عبد الرحمن النقي^(٣)، ليبدأ فى تنفيذ مخططه الرامى إلى تجميع فلول القوط، لتكوين دولة تهدف إلى إسترداد شبه الجزيرة الايبيرية من أيدي المسلمين.

وكانت توجد هناك أيضاً، إمارة صغيرة فى قنطابرية، أسسها دوق بطرة (بدرو) Pedro سليل ريكاردو، فى الطرف الغربى من جبال البرانس، فى سهل نبرة وغسقونية، ولكنها كثيراً ما كانت تتعرض لضربات المسلمين^(٤) واقتحامهم لها عند مرورهم إلى غالة.

أما إمارة جليقية الناشئة على يد بلاى، فقد كانت فى مأمن من أيادى المسلمين، وقد سميت بإسم جليقية، لأنها قامت على حدود الولاية الرومانية^(٥) القديمة التى كانت تسمى بهذا الإسم. وتعرضت جليقية لهجمات المسلمين، ولكنهم أخفقوا فى التغلب على بلاى، وانهزموا فى كوفادونجا^(٦) Covadonga.

وتعد هذه الهزيمة الإسلامية هى فاتحة^(٧) حركة الإسترداد الإسبانية La

Reconquista بحق، ويُعتبر بذلك بلاى هو واضع أساس الدول والممالك الإسبانية المسيحية الشمالية الغربية، وأبو بنى أذفنش على حد تعبير مؤرخى الأندلس^(٨). وترتب على ذلك أن ترك المسلمون هذه الهضاب، فبدأ الإسبان فى التوافد على قنطابرية وسهول جليقية منضمين إلى بلاى ونصبوه ملكاً. وبدأ فى الإغارة على الأراضي الإسلامية، وتبادل الطرفان، المسلمون والإسبان، الهجمات إلى أن اشتدت الفتن والحروب الأهلية فى الأندلس، وإندلعت ثورة البربر على العرب، فإزداد تقدم الإسبان فى أراضي المسلمين^(٩)، وعجزت حكومة قرطبة عن وضع حد لذلك، لإتسغالها بهذه الفتن، ولضعف الوجود الإسلامي فى شمال أيبيريا.

وتشير بعض المصادر العربية إلى أن بلاى أوقع بالمسلمين هزيمة نكراء، فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م، بسبب فتنة أبي الخطار وثوبة، وتمكن من إخراج العرب من جليقية كلها، وتتصر من تتصر^(١٠)، وظل بعض المسلمين على دينهم هناك فى خضوع^(١١) وذل لحكم الإسبان.

وفى نفس الوقت توفي دوق بطر دوق قنطابرية، وخلفه ولده ألفونسو الأول، Alfonso I الذي تصاهر مع بلاى، فتزوج ابن ألفونسو الأول من إينة بلاى، إرمسنده Ermensinda^(١٢)، وبعد وفاة قافلة بن بلاى، إتحدت الإمارات قنطابرية وجليقية تحت تاج ألفونسو الأول دوق قنطابرية، وتكونت منهما مملكة أشتورياس، أو ليون، فيما بعد. وكانت تمتد من بلاد البشكنس شرقاً، إلى ساحل المحيط الأطلسي غرباً، ومن خليج غسقونية شمالاً حتى نهر دويره جنوباً^(١٣).

ويعتبر ألفونسو الأول، بذلك هو أول ملوك أشتورياس - ليون. وبعد أن كانت الحروب بين المسلمين والإسبان، ذات طابع قومي سياسي أخذت منذ ذلك التاريخ الصبغة الدينية، وذلك منذ ان تلقب ألفونسو الأول، بلقب الكاثوليكي.

حكم ألفونسو الأول الكاثوليكي من سنة ١٢٢هـ حتى سنة ١٤٠هـ^(١٤)/ ٧٣٩م - ٧٥٧م وكانت الحروب الأهلية تجتاح الأندلس آنذاك^(١٥)، فاكتمل ألفونسو الأراضي^(١٦) المجاورة لحدوده، والتي كانت بمثابة الحد الفاصل بين الأراضي الإسلامية والمسيحية. وكان بها القليل من المسلمين. وعندما ضربت المجاعة فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م البلاد، رحل الكثير من المسلمين عن هذه المناطق، فإزدادت قوة المملكة الإسبانية الناشئة الجديدة. وتم تصليب ألفونسو الأول رسمياً، ملكاً على أشتورياس، فى هذا العام، واستولى

على كثير من الأراضي الإسلامية في سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م بالتزامن مع هجرات الأهالي إلى طنجة وأصيلة^(١٧) بالمغرب، مستغلاً الجوع والمحل، الذي عصف بالأندلس، وقام بحرق الأشجار والأراضي الثغرية، في إستمادورة، Extramadura وهي الخطة المعروفة في لغة الحروب، بخطة الأراضي^(١٨) المحروقة، لتصبح حاجزاً طبيعياً بما أشبه بالصحراء بين الطرفين. وخلفه فرويلة بعد وفاته، وهو الذي استغل فرصة إنشغال الأمير عبد الرحمن الداخل، بإخماد الثورات الداخلية، فقام بمحاربة المسلمين^(١٩) وأحرز انتصارات عليهم، وبعدها عبر نهر دويرة، وتمكن من ضم لك، وبرتغال وشلمنقة، وشقوبية، وأبله، وسمورة، وقشتالة، إلى مملكته. ولم يتم استعادتها إلا بعد قرنين من الزمان على يد المنصور ابن أبي عامر^(٢٠). ورد عبد الرحمن الداخل على هذا المد الإسباني بعدد من الحملات سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦، إشتبكت مع الجالقة في عدة مواقع. وفي عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م، بعث عبد الرحمن الداخل^(٢١) مولاة بدر إلى ألبه Alava والقلاع - Castilla^(٢٢).

وأنشأ فرويلة مدينة أبيط Oviedo^(٢٣) التي أصبحت عاصمته. وتوفي فرويلة سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م، فأنقسمت المملكة بعد وفاته إلى قسمين، قسم تولاه ابنه أوريليو Aurelio (١٥١ - ١٥٨هـ / ٧٦٨ - ٧٧٤م) يشتمل على نبرة وبلاد البشكنس أما باقي المملكة فقد تولاهما سيلو Silo^(٢٤) أو شيالون زوج ابنة ألفونسو الأول، (١٥٨ - ١٦٧هـ / ٧٧٤ - ٧٨٣م). وبعد وفاة أوريليو عادت المملكة لتتحد من جديد تحت تاج سيلو.

لم ينجب سيلو أي أبناء، لذلك فقد أوصى بالعرش عند وفاته لألفونسو ابن الملك فرويلة، وكان طفلاً على أن تتولى الوصاية عليه زوجته أوسندا Adosinda.

ولكن بدأت أصوات المعارضة تعلو، وقادها الشعب مع بعض النبلاء، وتزعم هذه الحركة مورجاتو Mauregato، الذي نجح في الوصول إلى العرش، وانتزع القسم الغربي، من أستورياس (جليقية الغربية) وتمكن من حكمه. وأجبر ألفونسو على الفرار. وجلس على حكم هذا الجزء من المملكة من عام ١٦٧ حتى عام ١٧٣هـ / ٧٨٣ - ٧٨٩م، وفي عهد هؤلاء الملوك الثلاثة أوريليو وسيلو ومورجاتو لم يتبادل المسلمون والإسبان أية غارات خلال ٢١ عاماً.

وفي أعقاب وفاة مورجاتو عاد الحكم لألفونسو ابن فرويلة، ولكن الشعب والنبلاء في غرب جليقية، آثروا إختيار برمند الأول الإنجليزي Vermudo ملكاً عليهم، وكان قد وهب نفسه وحياته للدير، فتولى الحكم رغماً عنه، وكان نفوذه يشمل غربي جليقية فقط أي

المنطقة التي سبق لمورجاتو أن حكمها. أما ألفونسو، فكان حاكماً على القسم الشرقي. وبعد ثلاث سنوات ضاق برمند، ذرعاً بحياة الملك فتنازل بإرادته عن العرش لألفونسو، الذي تولى حكم المملكة كلها في عام ١٧٥هـ / ٧٩١م بإسم ألفونسو الثاني، وتلقب في أواخر عهده بالـ *Elcasto*، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٢م. وبذلك عادت مملكة أستورياس إلى سابق وحدتها. وتسمت أيضاً بداية من عهده إلى جانب مسمى أستورياس بمملكة ليون. كان ألفونسو الثاني ملكاً حازماً، أعاد ترتيب أمور المملكة وضبطها، وطال حكمه لمدة نصف قرن، عاصر خلالها حكم كل من الأمير هشام الرضا (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٩-٧٩٦م) والحكم الرضى (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٧٩٦م) وجزء من عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢-٨٥٢م)، وهي الفترة التي اخترنا معظمها موضوعاً لهذه الدراسة لتسليط الأضواء على وضع مسلمي أستورياس خلالها، نظراً للغموض الذي يكتنف أخبارهم وأخبار المملكة بوجه عام، في المصادر العربية، وكذلك الإسبانية.

وكانت أهم الأحداث التي سلطت المصادر العربية الأضواء عليها، تتمثل في هزيمة ألفونسو الثاني على أيدي المسلمين بأقصى جليقية عام ١٧٩هـ / ٧٩٥م، وعبوره سنة ١٩٣هـ / ٨١٠م، بقواته نهر دويرة وتوغله حتى الإشبونة *Lisboa* مستعيناً بمساعدات من شارلمان بعد هزيمته السابقة أمام المسلمين، وهو ما ركزت عليه الدراسات الإسبانية، مما دفع الحكم الرضى للرد على ذلك بنفسه، فخرج غازياً إلى جليقية، وتوالت الحملات الإسلامية على أستورياس طيلة عهد الحكم في سنة ١٩٢هـ / ٨٠٨م، وفي سنة ٢٠٠هـ / ٨١٦م.

كما كان لعبد الرحمن الأوسط العديد من الحملات على ألبة والقلاع، ومن أهمها حملات سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م التي ضربت خلالها جيوش الإمارة مدينة ليون، فكانت غزاة ألبة والقلاع الشهيرة من أهم إنتصارات عبد الرحمن الأوسط. وتوفي ألفونسو الثاني وخلفه ابنه ردمير الأول *Ramiro I* سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٢م. ويوقف في هذا التاريخ المدى الزمني للدراسة التي نقدمها على هذه الصفحات^(٢٥).

في هذه المرحلة التي بدأ فيها تأسيس أول مملكة إسبانية مسيحية وهي أستورياس، التي أصبحت ليون فيما بعد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كان المسلمون أحد عناصر المجتمع الإسباني فيها، وإن كانوا يُعدون أقلية في هذا المجتمع.

وبوجه عام فإن المجتمع السكاني في الممالك الإسبانية وفي أستورياس - ليون، أولى هذه الممالك الناشئة، كان يتكون من الملك ثم النبلاء ورجال الدين الذين أُعتبروا بمثابة طبقة موازية للنبلاء، وحافظوا على إمتيازاتهم التي تميّزوا بها منذ عصر القوط، وأعانهم على ذلك الحروب المستمرة مع المسلمين، التي أخذت الطابع الديني إلى جانب القومي كما سبق أن أشرنا، والعبيد^(٢٦).

وقد أدى توسع الإسبان في الشمال على حساب المسلمين بالأندلس في أخريات عصر الولاة، ثم بدايات عصر الإمارة الأموية، إلى إمتلاكهم نحو ثلث شبه الجزيرة الإيبيرية، في حين إختص المسلمون بالثلثين، في هذه الفترة المبكرة من التاريخ الأندلسي. وترتب على ذلك أن أضيف إلى عناصر المجتمع في مملكة أستورياس الناشئة، عنصر جديد هو المسلمون، الذين كانوا إما ممن آثروا البقاء في أرضهم، التي استولى عليها الإسبان لإرتباطهم بمصالح إقتصادية، أو من الأسرى المسلمين الذين وقعوا في أيدي^(٢٧) الإسبان أو من المتمردين والمنتزعين الفارين من الحكم الإسلامي بقرطبة إلى أستورياس - ليون. وأطلق على المسلمين الذين عاشوا بأستورياس، وفيما بعد بالممالك الإسبانية الأخرى، في البدايات إسم موري Mauri، ثم تطور المسمى ليصبح موري كابتي Mauri Capti بمعنى المسلم الأسير، فقد اعتبر الإسبان أن هؤلاء المسلمين الذين يعيشون على أراضيهم بمثابة أسرى حرب، ثم تطور المسمى ليصبح فيما بعد عصر الخلافة Mauri Pacis أي "المسلمون المستأمنون" وأيضاً Mauri Regis أي "المسلمون التابعون للملك وهم أحرار"، ثم بعدها تطور المسمى ليصبح ما يعرف بالمدجنين أو Mugejares^(٢٨).

وليست لدينا أية أخبار وافية عن أحوال هؤلاء المسلمين الأوائل الذين ظلوا في الأراضي التي إستردّها الإسبان، كأقلية. ويشير صاحب أخبار مجموعة كما سبق أن ذكرنا، أن منهم من تنصر ربما هرباً من سوء المعاملة، إذ، كان الإسبان في أستورياس المملكة الإسبانية الناشئة يعتبرونهم عبيداً لهم. وكان الرقيق المسلم يُعامل بأقصى صور العبودية^(٢٩).

ورغم التعقيم الشديد في المدونات الإسبانية على أخبار هذه الأقلية المسلمة في المجتمع الأستوري، في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ مملكة أستورياس - ليون، إلا أننا إستطعنا أن نستشف بعض الأخبار عنهم، ومنها أنهم عوملوا، كطبقة دنيا من طبقات

المجتمع هناك، فقد كان هذا هو حال المسلمين دائماً بعد سقوط مدنهم في أيدي الإسبان. واستمر هذا هو حالهم حتى بعد سقوط غرناطة، فكان دائماً ما ينظر الإسبان إلى المسلمين الخاضعين لهم، على أنهم إما عبيد أو على أحسن الفروض إن تم تحريرهم، فإنهم مجرد قطيع من المزارعين، والحرفيين الأميين، الذين يجهلون حتى خصوصياتهم الإسلامية، رغم وجود عدد كبير من هؤلاء المسلمين، من الطبقة ذات الإستتارة الفكرية، التي أضافت الكثير إلى المجتمعات الإسبانية. وفيما يتعلق بالفترة الزمنية موضوع الدراسة، فقد إستنتجنا أن المسلمين كانوا في أثنائها أصحاب تأثير قوي، في أستورياس رغم سوء المعاملة الإسبان لهم، وتدنّى وضعهم الاجتماعي والاقتصادي، وذلك من خلال ما رصدناه بين سطور السجلات، والمدونات، والدراسات الإسبانية الحديثة.

من ذلك على سبيل المثال أن هناك دراسة قيّمة حديثة قام بها ريتشارد هيتشكوك Richard Hitchcock، الأستاذ بجامعة Exter رجع خلالها إلى مجموعة وثائق وسجلات، كنسية رهبانية أستورية ليونية، ووجد فيها كلمات وتسميات عربية، وهي ترجع إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

وعلى المؤرخ صاحب هذه الدراسة ذلك، بأن احتلال الليونيين لأراضي كاملة، كانت تعيش فيها مجتمعات إسلامية، مستقرة، رفضت مغادرتها، كان أهم أسباب شيوع التسميات العربية في المجتمع الأشتوري - الليوني، حتى وصلت إلى سجلات الكنائس الدينية^(٣٠). ونستنتج أن هذا يشير إلى أنه، إما، أن هؤلاء المسلمين قد احتفظوا بأسمائهم الأولى، ولكنهم تنصّروا، ليشتروا بدينهم، حرياتهم وحرية أبنائهم، أو أن الأسماء العربية قد ذاعت وانتشرت بين الأشتوريين أنفسهم، حتى سمّوا بها أبناءهم، وهذا يدفع إلى مزيد من الدراسات، عن نظريات أصولهم.

ويرجح دوزي Dozy أن هذه الأقليات المسلمة في أستورياس كانت ترجع إلى أصول بربرية، فهي التي إنتشرت واستقرت في مناطق شمال غرب إسبانيا وإسترامادرة وليون^(٣١) في أعقاب الفتح الإسلامي.

وبطبيعة الحال فإن هؤلاء الذين تنصّروا من هذه الأقلية المسلمة، شراء لحرياتهم في أستورياس - ليون، قد نقلوا بذلك أنفسهم من طبقة العبيد^(٣٢) إلى الطبقة الوسطى التي عمل أفرادها كصناع، وتجار، وحرفيين مما ساهم في إنعاش المجتمع الأشتوري -

الليوني الجديد وإقتصاداه. وكان نبلاء أشتورياس يزودون أتباعهم بالأحرار بالغذاء والكساء والملجأ والعمل، كأجراء في الأرض.

ورغم أن عبيد الأرض المسلمين، أو حتى الأحرار منهم الذين قدّموا دينهم ثمناً مقابلاً لعقبتهم وحريرتهم، كانوا قليلي العدد، ولا تقارن نسبتهم في المجتمع الأشتوري، بنسبة المستعربين والأسلمة والمولدين في المجتمع الأندلسي، إلا أنهم كانوا أصحاب فائدة عظيمة في هذه المملكة الإسبانية الناشئة، فإلى جانب ما أشرنا إليه من تأثيرهم اللغوي على المجتمع الإسباني، فإنهم أيضاً قد ساهموا في الإصلاح البيئي، والعمراني، في أشتورياس، في هذه المرحلة المبكرة من تكوين المملكة.

وقد أشار الحميدي في جذوة المقتبس، خلال ترجمته لبقى بن مخلد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إلى الحالة التي كان عليها المسلمون في بلاد الإسبان، وأنهم كانوا يُقَيّدون بالأغلال، ويُستَخدمون في تعمير الأراضي المستردة^(٣٣) والصحراء، تحت إشراف الرهبان. وتأثر الإسبان في أشتورياس بالتعاليم الإسلامية، وقد ورد في إحدى الوثائق المستعربية، وصية راهبة عند وفاتها بعثت مملوكتها المسلمة^(٣٤).

ولم يقتصر التأثير الإسلامي في هذه المرحلة الغامضة والمرتبكة من تاريخ أشتورياس، على الجانب اللغوي، والعمراني، والبيئي، والحرفي، وإنما تعدى ذلك بكثير ليصل إلى السياسة، وكرسي الحكم، والعرش، والملكية الأشتورية نفسها، فضلاً عن الجوانب الدينية والاجتماعية والفكرية.

ولقد ضرب التأثير الإسلامي بعنف وبقوة سياسة المملكة الأشتورية بداية من عهد بلاى، واستمرراً في عهد كل من ملكيها سيلو ومرجاتو وأيضاً كان للمسلمين قصة أشارت إليها المصادر العربية في عهد الملك ألفونسو الثاني العفيف.

ففيما يتعلق بالملك بلاى مؤسس أشتورياس، الذي كنا قد أشرنا إلى أن المسلمين قد أخذوه رهينة إلى قرطبة في الصفحات الأولى من هذه الدراسة، نلاحظ أن الكتابات الإسبانية قد أشارت بناء على ما ورد في مدونة ألفونسو الثالث، أن المسلمين قد عينوا أحد رفقاء طارق بن زياد من البربر وهو (مونوسة أو منوزا Munuza) على حد التعبير الإسباني، ليحكم منطقة خيخون Gijon وقيل ليون Leon. وأن هذا القائد أو الوالي البربري المسلم، قد هام بحب أخت بلاى، وأنه أجبرها على الزواج منه. وتظل هذه الرواية غامضة في الكتابات الإسبانية، التي تذكر بعضها أن مونوسة قد قُتل في موقعة كوفادونجا على يد

بلاي، الذي كان قد هرب من قرطبة إلى أشتورياس. بينما تذكر كتابات أخرى أنه هو نفسه مونوسة البربري الذي تردد اسمه في عصر الولاة، في أحداث المحاولات الإسلامية لفتح ما وراء جبال البرتات، وأنه هو الذي تزوج من مينين ابنة الدوق أودو Eudes دوق أكيثانيا Aquitania وعلى أي الأحوال، فلم يكن لهذه الزيجة إن صحت هذه الأخبار، من آثار مباشرة على مملكة أشتورياس الناشئة، ولكنها تظل إشارة إلى بداية ظهور التواجد الإسلامي على مسرح الأحداث وفي المدونات الإسبانية. المتعلقة بمملكة أشتورياس الناشئة، والتي هي نفسها ليون فيما بعد.

وصل الملك سيلو Silo أو شيلون^(٣٥) كما تذكره المصادر العربية، إلى الحكم في أشتورياس في سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م كما سبق أن أشرنا. وقد تولى حكم القسم الغربي من المملكة. وبعد وفاة الملك أوريليو Aurelio الذي كان حاكماً على القسم الشرقي، عادت أشتورياس للتوحد تحت سيادة سيلو مرة أخرى.

وفيما يتعلق بالظروف التي وصل خلالها سيلو إلى الحكم فهي يسودها الغموض، كما أن عهد أوريليو نفسه يشهد غياباً شبه تام في المدونات الإسبانية^(٣٦)، وكل ما أوردته هذه المدونات، عن أوريليو وسياسته الخارجية أن عهده كان هادئاً وسلمياً وأنه لم يتورط في معارك مع مسلمي الأندلس، لأنه إنشغل بقمع وتمرد عرف في الكتابات الإسبانية بتمرد الأقفان^(٣٧)، نجح أوريليو بعد جهد في إخماده. ويظل الموضوع الذي اندلع منه هذا التمرد الذي قاده العبيد غير معروف، ولكنه بإجماع المؤرخين، يعد أول حالة تُسجل لانتفاضة مناهضة للسيادة في تاريخ المملكة^(٣٨) الأشتورية.

وما يلفت الانتباه، أن الملك سيلو، الذي خلف أوريليو على حكم القسم الشرقي من أشتورياس، والذي أعاد وحدة المملكة، قد ذُكر في مدونة البلدنسي أنه ربما كان ابناً لسيدة مسلمة.

وبالرجوع إلى النص الأصلي للمدونة وما تذكره بالتحديد فيما يتعلق بالأصول التي ترجع إليها أم الملك سيلو، والتي يُرجَّح أنها كانت مسلمة، ننقل ما نصه: "Cum spania ob causam matris"^(٣٩).

وترجمة هذه العبارة التي أورنتها مدونة البلدنسي لتفسير حالة السلم التي سادت بين الملك سيلو، والأمير عبد الرحمن الداخل بالأندلس بأنها كانت "كما رغبت والدته" أو "بناء على رغبة أمه" مما جعل المؤرخين يؤكدون على أن والدته الملك سيلو كانت مسلمة،

أو من ذوي القربى للأمير عبد الرحمن الداخل.

وبمقارنة النصوص ببعضها البعض، وبترتيب الأحداث في مملكة أستورياس، ومحاولة تفسيرها، وفك غموضها وما إذا كانت ترتبط بصورة ما، بالأقلية المسلمة فإنني أتساءل، إذا ما كانت إنتفاضة الأقبان أو العبيد، التي إندلعت في شرقي أستورياس ضد الملك أوريليو، كانت إنتفاضة للأقلية المسلمة التي كانت مستعبدة، أو على الأقل قد شاركوا فيها، وإذا ما كان للملك سيلو حاكم القسم الغربي من أستورياس آنذاك، ضالماً فيها، وقد أشارت بعض الكتابات الإسبانية الحديثة إلى مشاركته في هذه الجريمة على حد وصفهم. ولعله كان يطمع في إنهاء حكم أوريليو، لضم المملكة وتوحيدها فأثار العبيد المسلمين ودفعهم إلى الثورة، بحكم أصول والدته الإسلامية، ونجح في نهاية الأمر في حكم القسم الشرقي من أستورياس، إلى جانب الغربي، وضمهما معاً تحت سيادته، خصوصاً وأن هناك ثمة جدل أكاديمي كبير، بين المؤرخين الإسبان حول الطريقة التي وصل من خلالها سيلو إلى الحكم، وإذا ما كانت بانتخاب النبلاء له، أو بالوراثة، بإعتباره زوج أوسيندا ابنة الملك ألفونسو الأول، كما أن المؤرخين الإسبان قد أثاروا قضية أسباب حفاظ سيلو على حالة السلم مع المسلمين، وفسروا العبارة الواردة في مدونة البلدنسي والتي ذكرناها (من أجل والدته)، على أنه كان من أصول نصف إسلامية، ولذلك فقد تجنب حالة الحرب مع الإمارة الأموية، التي كانت تحت حكم الأمير عبد الرحمن الداخل إكراماً لأمه، ولا سيما أن عهد سيلو، يتزامن مع حملة شارلمان على الأندلس وبالتالي فربما كان إتجاهه إلى مسالمة الأمويين، حتى يتيح لهم فرصة التصدي لأعداء الإمارة من الدولة^(٤٠) الكارولنجية.

وتركز بعض الكتابات الإسبانية، وتؤكد، على أن إنتفاضة جديدة قد إندلعت في أستورياس في عهد سيلو، قادها البشكنس هذه المرة، فانشغل سيلو بقمعها، ولا نعرف أسبابها، ونرجح أنها كانت حلقة من حلقات البشكنس المستمرة على السيادة الإسبانية، وفي عهده، تغير مقر الحكم في أستورياس، فتحول من كانجاس Cangas إلى برافيا Pravia.^(٤١)

ومما سبق أن ذكرناه، يتضح أن البلاط الملكي في أستورياس، قد تعرض بصورة ما، لتأثير سياسي من الأقلية المسلمة، وتمثل ذلك في كون الملك سيلو، زوج ابنة الملك ألفونسو الأول، ابناً لسيدة مسلمة، كما ترجح معظم الكتابات، مما ألقى بظلاله على سياسته الخارجية، وعلاقته على حد ما ورد في الكتابات الإسبانية، بالأمويين في الأندلس.

ولم يقتصر الأمر على سيلو، فقد كان الملك ألفونسو الأول نفسه، ليس ببعيد عن التأثيرات الإسلامية، حيث تؤكد المدونات والكتابات الإسبانية، أنه كان قد أنجب ابناً غير شرعي من محظية مسلمة، وعُرف هذا الابن في التاريخ باسم مورجاتو Maurgato، وهو الذى سيتولى حكم أستورياس بعد وفاة الملك سيلو سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م.

ورغم أن المصادر الإسبانية لم تذكر اسم هذه المحظية المسلمة، والدة مورجاتو، إلا أن كل من "Fernandez de Bethencourt" و "Eusebio Martinez De Vela" من القرن ١٩م قد أورد إسمها وذكر أنها كانت خادمة الملك ألفونسو الأول وتسمى "سيسلادا - Sislada". وقد فصل المؤرخ Eusebio Martinez فى ذكر قصة سيسلادا، وعلاقتها بالملك ألفونسو الأول فقال أنها كانت أسيرة إفريقية (مغربية) لدون Suero De Buyers، إمتلكها سنة (١٣٦-١٣٧/٧٥٣م)، وعاشت معه فى قلعته، حتى ألقت بفارس أزرق العينين، أحبته، وأنجبت منه ولداً، وكان هذا الفارس هو الملك ألفونسو الأول، أما الابن فكان هو مورجاتو^(٤٢).

ويُعد عهد مورجاتو الذى نجح فى الوصول إلى عرش المملكة بعد الملك سيلو سنة ١٦٧هـ، من أكثر فترات الغموض فى تاريخ أستورياس.

ومنذ البداية فقد أطلق على هذا الابن غير الشرعى، إسم له علاقة بالمسلمين، فقد فسر المؤرخون اسمه Mauregato على أنه يشتمل على مقطعين، المقطع الأول Maure بمعنى المسلمة، والثانى Gato، بأنه محرّف من كلمة Capatae بمعنى الأسيرة باللغة الأشتورية القديمة، وهذا يعنى أنه سُمى فى التاريخ، بإبن الأسيرة المسلمة^(٤٣).

وقد نظرت إليه الكنيسة الأشتورية، بإحتقار^(٤٤)، ووُصف مورجاتو فى المدونات والكتابات الإسبانية، بالخادم، والغاصب.

أما تفسير كلمة الخادم فهى لكون والدته أسيرة، وخادمة، للملك ألفونسو الأول، أما وصفه بكلمة الغاصب فهى نسبة للظروف التى أحاطت بوصوله إلى عرش أستورياس.

وقد أشار كل من إبن الأثير وإبن خلدون إليه وإلى ظروف صعوده إلى الحكم^(٤٥). ويكتنف هذه الظروف الكثير من الغموض، حيث أن سيلو إبن السيدة المسلمة، وزوج أدوسيندا إينة الملك ألفونسو الأول، لم ينجب أبناء فأوصى بالعرش لألفونسو الثانى إبن فرويلة الذى كان طفلاً، على أن تتولى الوصاية عليه زوجته أدوسيندا، وفجأة أدت أصوات المعارضة والتى قادها بعض أبناء الشعب، الذين يتزعمهم مورجاتو، إبن غير

الشرعى للملك ألفونسو الأول من زوجته غير الشرعية المسلمة إلى وصوله للعرش. وتؤكد الكتابات الإسبانية أن مورجاتو وصل إلى الحكم بمساعدة^(٤٦) من المسلمين. ويذكر كل من ابن الأثير وابن خلدون أن مورجاتو قد قتل ألفونسو الثانى، ولكن هذا غير صحيح، لأنه سيتولى حكم أستورياس بعده، والصحيح أن مورجاتو إكتفى بتتحيته وبعدها فر ألفونسو إلى ألبيه Alva حيث أقارب والدته، وقدم مورجاتو للأمير عبد الرحمن الداخل جزية سنوية فى مقابل هذه المساعدة الإسلامية رمزاً لتبعية له، وتقديراً للمساندة الأموية، وعقد صلحاً مع المسلمين.

ونتوقف هنا لمناقشة قضيتين، القضية الأولى، تتعلق بالمساعدة الأموية التى قدمها عبد الرحمن الداخل لمورجاتو ليمكنه من الوصول لحكم أستورياس، طبقاً لما ورد فى الكتابات الغربية، والقضية الثانية، تتعلق بالجزية التى قدمها الملك الأستورى مورجاتو للأمويين فى مقابل المساعدة الإسلامية.

أما فيما يتعلق بالقضية الأولى، التى أشارت إليها الكتابات الإسبانية القديمة والحديثة، والتى تؤكد أن مورجاتو قد تلقى مساعدات من الأمويين بالأندلس فى عهد عبد الرحمن الداخل لى يصل إلى العرش، فإن هذا يثير لدينا بعض الإحتمالات التاريخية، فإذا كان الأمير عبد الرحمن الداخل قد ساعد مورجاتو فى الثورة على ألفونسو الملك الطفل، فقد يكون هو أيضاً من ساعد من قبل، على إندلاع "انتفاضة الأقبان" على الملك أوريليو فى شرق أستورياس، ليمكن الملك سيلو الذى كان يحكم غرب المملكة الإسبانية، وهو كان كذلك ابناً لسيده مسلمة، من الوصول أيضاً إلى حكم المملكة، وذلك فى الفترة السابقة على عهد مورجاتو.

كذلك فإن هذه الأخبار الإسبانية التى تؤكد مساعدة الأمير عبد الرحمن الداخل لمورجاتو فى الإطاحة بألفونسو الثانى، تجعلنا نرجح أن عبد الرحمن الداخل، بذلك، هو الذى علم ملوك إسبانيا المسيحية فيما بعد، هذا الأسلوب السياسى، وهو إثارة المتمردين بداخل ممالك الأعداء، لمساعدة المتعاونين للوصول إلى كراسى الحكم.

وكنا حتى عهد قريب، نفترض أن هذا الأسلوب السياسى، وهو تأليب الثوار، ومساندتهم، إنما هو من صنع وإبتداع ملوك إسبانيا المسيحية، وأن أول من قام بذلك هو الملك ألفونسو الثانى العفيف، الذى أوردت المصادر العربية، أنه دعم الثائر البربرى محمود بن عبد الجبار المصمودى، فى مدينة ماردة Mérida، هو وأخته جميلة، وحليفهما الثائر

المولد سليمان بن مرتين على الأمير عبد الرحمن^(٤٧) الأوسط، وأن هذه المساعدات الإسبانية، للشوار على الدولة الأموية بالأندلس، لن تتوقف طيلة عصر الامارة، ولعل أشهرهم فيما بعد، عمر بن حفصون.

ولكن بتوارد أخبار مساعدة عبد الرحمن الداخل، للثائر موراتو، الذى يرجع إلى أصول نصف إسلامية، فى الكتابات الإسبانية، قبل عام ١٦٧هـ وهو عام اعتلاء موراتو للعرش فى أستورياس، ورغم صمت المصادر العربية عن ذلك، إلا أن هذا، إنما يغير الكثير من الحقائق التاريخية، ويشير إلى التأثير الإسلامى الواضح على إتجاهات السياسة الخارجية لمملكة أستورياس أولى الممالك الإسبانية، فيما بعد، فهم سيحذون حذو عبد الرحمن الداخل، ويتعلمون منه، هذا المنهاج، ويلجأون إلى نفس الأسلوب بإشغال الصراعات والفتن والانتفاضات، على الحكومة المركزية فى قرطبة طيلة عهد الإمارة الأموية.

ولم يكن ذلك الاتجاه السياسى هو من إبتداع الأمير عبد الرحمن الداخل، بل كان أسلوباً شائعاً فى الصراعات السياسية بين الدول فى تلك الفترة الزمنية، وكان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى، من أهم من إتبع هذا الأسلوب، للتخلص من خصومة السياسيين وقد أرسل فى ١٤٦هـ على الأراضى الأيبيرية (٧٦٣-٧٦٤م) قائداً من قواده، هو العلاء بن مغيث اليحصبى، إلى إفريقية ومنها إلى الأندلس، فلبس السواد شعار العباسيين، ودعا له فى باجة Beja بالغرب الأندلسى، وإنضمت إليه جماعات اليمينية، التى تمردت على عبد الرحمن بن معاوية^(٤٨)، وبذلك كان أبو جعفر المنصور قد نجح فى اذكاء نيران فتنة وتمرد، فى قلب بلاد الأندلس، لإسقاط دولة عبد الرحمن الداخل الأموى، الناشئة.

كما أن الخليفة المهدى العباسى، كان قد شارك فى مؤامرة مع بعض الثوار بالأندلس، ومنهم الرماحس بن عبد العزيز الكناني، ومع شارلمان لتحطيم دولة عبد الرحمن بن معاوية. ورغم صمت المصادر عن ذكر أية علاقات بين المهدى وشارلمان، إلا أن تدخل شارلمان طبقاً لرأى أحد كبار المؤرخين، لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن هناك إتفاق بينه وبين أصحاب المصلحة فى هذا التدخل، وهم العباسيون، خصوصاً بعد محاولة المنصور فى إشعال نيران الثورة فى الأندلس من قبل، وكذلك بعد فرار الرماحس الكناني أحد الثوار، بالأندلس، زمن المهدى، فى أعقاب فشل المؤامرة، إلى بغداد^(٤٩).

ومما سبق يتضح أن تأثيراً إسلامياً، فى مجال السياسة الخارجية، بدأ مشرقياً، ثم

أصبح أندلسياً، قد إنتقل إلى مملكة أستورياس، أولى الممالك الإسبانية، فإذا كان عبد الرحمن الداخل قد إتبع نفس أسلوب العباسيين من إشعال نيران الثورات فى الأندلس، لإسقاط دولته الناشئة، فإنه قام بنفس الفعل، مع خصومه الأشتوريين فى الشمال الغربى، ليلتقط ملوك أستورياس خيوط هذا الإتجاه السياسى، ويبدأوا منذ عهد الملك ألفونسو الثانى العفيف، فى مساعدة الثوار من البربر والمولدين، على الحكومة المركزية فى قرطبة بدءاً من عهد عبد الرحمن الأوسط.

وننتقل إلى الحديث عن القضية الثانية، وهى الجزية التى قدّمها مورجاتو ملك أستورياس إلى الأمير عبد الرحمن الداخل، منذ أن نجح فى الوصول إلى عرش أستورياس، نظير مساعدة الأمير الأموى له.

تذكر المصادر والكتابات الإسبانية، أن الملك مورجاتو قدّم جزية مهيئة للأمير عبد الرحمن الداخل، هى مائة فتاة أستورية، وخمسون محارباً من النبلاء، وخمسون من العامة، وخبولاً وأسلحة. واستمرت هذه الجزية تقدّم للمسلمين سنوياً حتى عهد الملك راميرو الأول الذى توقف عن إرسالها للمسلمين، فى أعقاب إنتصاره فى إحدى المعارك المتبادلة بينهم، وهى معركة كلافيو سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م^(٥٠).

لقد ظلت هذه الجزية تمثل ذكرى عالقة مؤلمة فى ذاكرة الأمة الإسبانية حتى اليوم^(٥١)، وتحولت إلى ما يشبه الأسطورة، والعلامة الدامغة فى الوجدان الإشباني، والعقبة فى مسيرة حركة الإسترداد.

ولهذا فقد نظر معظم المؤرخين الإشباني قديماً وحديثاً، للملك مورجاتو نظرة عدم تقدير، ووصفوه كما سبق أن ذكرنا بالخادم والغاصب والمهرطق أيضاً، حتى أن ديانته، رغم كونه كاثوليكياً على مذهب الكنيسة الغربية، كانت دائماً مصدر شك، وقيل أنه، لأن والدته كانت مسلمة، فإنه لم يكتسب للديانة، التى منحها له أبوه، الملك ألفونسو الأول، بقدر إهتمامه بديانة الأم العبدية. وتعد فترة حكمه من أكثر الفترات إرتباكاً فى التاريخ الإشباني.

ولم تظهر أسطورة^(٥٢) المائة فتاة، كما عُرِفَت فى التاريخ الأشتورى Cien Doncellas، فى نفس عصر الملك مورجاتو، وإنما ظهرت متأخراً، عندما ألهمت خيال الشعراء والكتاب، فكتب لوكاس أوف توي^(٥٣) Lucas of Tuy، أن مورجاتو، قدم الكثير من العذارى للمسلمين حتى يكون فى سلام معهم، وغالى لوكاس فى أسطورة المائة فتاة^(٥٤)، فذكر أن الكونت أرياس دا فيكو، قد ثار على الملك مورجاتو وقتله، رغم أن المدونات

الإسبانية الخاصة بالملك ألفونسو الثالث، البلدنسى، وروتسى، تؤكدان على أن وفاة مورجاتو جاءت بطريقة طبيعية.

ولم يكن هذا التأثير الإسلامى قاصراً على الجوانب السياسية والعلاقات الخارجية لمملكة أشتورياس فى عهد مورجاتو فحسب، وإنما تعرضت هذه المملكة الإسبانية الناشئة، لهزة فكرية ودينية كبيرة، وصفها المؤرخون الإسبان بأنها إنما كانت بتأثير من الفكر الإسلامى. فقد ساد الجدل حول قضية التبنى فى المجتمع الأشتورى، وإنقسم المفكرون فى أشتورياس ولا سيما من رجال الدين حولها. وكان أول من أثار قضية التبنى الإسبانية، هو إلباندوس Elipandus^(٥٥) مطران طليطلة^(٥٦)، التى كانت تحت ظل الحكم الإسلامى بالأندلس. وارتأى المطران إلباندوس أن السيد المسيح بقدر ما كان انساناً، كان ابناً لله بالتبنى. وأصبح هذا المطران يُعرف تاريخياً بأنه رائد الفكر والنحلة المسماة Adoptioism، وأثار بفكرته، ضده، جدلاً دينياً واسعاً فى الأندلس، وإمتد حتى وصل إلى أشتورياس والمملكة الكارلونية، والبابوية، وتدخل فى الأمر كل من البابا أدريان الأول وشارلمان.

وظهر الأسقف فليكس Felix، أسقف "أرقله" Urgel بأشتورياس ليؤيد فكرة^(٥٧) التبنى، التى روج لها المطران إلباندوس، ولكن الراهب بيتوس أوف لييانا Beato De Liebana، خرج ليتصدى لهذه القضية تماماً أيضاً فى أشتورياس، واعتبر بيتوس أن هذه الفكرة بدعة، وأنها بتأثير إسلامى محض على المطرانية الطليطلية، وأيضاً بتأثير أريوسى. وظهر فى نفس الوقت ألكوين Alcuin^(٥٨) زعيم النهضة الكارلونية، على مسرح الأحداث، ورفض تماماً فكرة التبنى، وأرسل برسالة إلى إلباندوس يحضه على التخلّى عن مذهبه، فرد عليه إلباندوس بخطابٍ شديد اللهجة، وهاجم فيه بيتوس دى لييانا، ودعاه بالدجال^(٥٩).

وعقدت الكنيسة خارج الأندلس، عدة مجامع دينية، لإدانة حركة إلباندوس، وجميعها ألفت بظلال من الشك حول طقوس الكنيسة الطليطلية فى ظل الحكم الإسلامى، وكل من يؤمن بقضية التبنى الإسبانى، وتعتبره مهرطقاً، على أساس أن التبنى يقوم على بشرية السيد المسيح بتأثير مباشر من الإسلام، إلى حد أن ألكوين قد وصف الإسلام بأنه "الينبوع الرئيسى للتبنى الإسبانى"، وأن ذلك يتشابه مع حركة ليو الأيسورى فى بيزنطة فى بدايات القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى (٧١٧-٧٤١م) والتى تسبق مباشرة ظهور

نحلة التبنى، واعتبروا أن ليو كان صاحب عقلية إسلامية أيضاً^(٦٠).

ضرب الجدل الدينى أروقة الكنائس، فى كل من الأندلس، وأشتورياس، والدولة الكارلونية والغرب الأوروبى، وأمضى مورجاتو عهده فى هذه الدوامة الفكرية، التى عصفت بالمملكة الأشتورية، والتى يرى المؤرخون الإسبان والغربيون القدامى والحديثون، أنها كانت بتأثير من فكر الإسلام.

وبلا شك، أن هذه الأفكار قد وصلت من كنائس الأندلس إلى أروقة الكنائس الأشتورية، من خلال المستعربين المهاجرين من بلاد الأندلس إلى المملكة الأشتورية الناشئة، وأيضاً من خلال الأقلية الإسلامية هناك. واستمر هذا الانقسام والجدل الدينى فى مملكة أشتورياس، طيلة عهد الملك مورجاتو، وتواصل حتى امتد إلى عهد الملك ألفونسو الثانى العفيف، الذى تولى حكم غرب أشتورياس بعده، ووحد المملكة كلها وضمها بعد ثلاث سنوات.

وقد إستدعى شارلمان فى سنة (١٧٦هـ/٧٩٢م)، الأسقف فيليكس أوف أرقلة Urgel من أشتورياس إلى بافاريا بألمانيا، فى مجمع دينى، وذلك فى عهد الملك ألفونسو الثانى بعد وفاة مورجاتو، وحثوه على التراجع عن أفكاره، رغم أن الكنيسة الإسبانية دعمته هو والياندوس، فقد تجددت إدانة البابوية لفليكس Felix فى سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٤م فى مجمع فرانكفورت، الذى لم يكتف الحاضرون فيه بإدانة نحلة التبنى بل أدانوا أيضاً اللايقونية، واعتبروهما تأثيرات إسلامية.

وعندما عاد الأسقف فليكس إلى أرقلة خاض صراعات فكرية مريرة مع رجال الدين المناوئين للتبنى فى أشتورياس.

وفى سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م، تولى ليو الثالث البابوية وعقد مجلساً، أدان فيه مجدداً فيليكس، وجرمه، وإضطره فى النهاية إلى التراجع، ولكن فيليكس رغم تراجع، ظل مُشتبهاً فى أموره الدينية وُضع تحت المراقبة حتى وفاته سنة ٨١٨م فى عهد ألفونسو الثانى^(٦١).

ومن الجدير بالذكر أن مورجاتو أصبح أيضاً متهماً بأنه كان وراء هذه الفتنة المذهبية المسيحية بصورة ما، رغم أنه كان متديناً كمسيحى على مذهب الكنائس الغربية، حتى أن بيتوس دى لبيان، قد أنصفه، ووصفه فى الكتاب المنسوب إليه، بأنه حامى الدين والمسيحية، وهو فى ذلك يقول طبقاً لما ورد فى نص كتاب بيتوس باللغة الأصلية:

"O Raex Regum Pium Mauegatum A exaudi Cui prove OC Tuo

Amore Preve⁽⁶²⁾.

وترى بعض الكتابات التاريخية الإسبانية أن "خضوع" الملكين الأشتوريين سيلو ومورجاتو، لسلطة الدولة الأموية بالأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل، على حد تعبيرهم، كان له أكبر الأثر في وضع أسس الثقافة الأشتورية، وإسبانيا المسيحية فيما بعد. فقد أحدثت قضية التبنى التي قسمت المجتمع الإسباني ما بين مؤيد ومعارض، لا سيما في عهد مورجاتو، زلزلاً، أسفر عن رد فعل كنسى عنيف في أشتورياس، جعل هذه المملكة الإسبانية الناشئة مُمثلة في زعيم الثقافة الأشتورية آنذاك، بيتوس دى ليانا، تتمسك برفض قضية التبنى، التي اعتبرت الكنيسة الأشتورية بدعة، وبدأت الكنيسة في أشتورياس في اتباع الكنائس الكارلونية الغربية لا سيما بعد تدخل شارلمان والبابوية، في هذه القضية. لقد أدت قضية التبنى التي أثارها المطران إلباندوس في طليطله، والتي مال إلى الأخذ بها فريق من أساقفة أشتورياس وعلى رأسهم فليكس، إلى إستقلال الكنيسة الأشتورية في نهاية الأمر، عن كنائس المستعربين بالأندلس، وأصبحت هناك تبعية دينية وكنسية من أشتورياس، لكنائس الغرب المسيحية، التي كانت تحت إشراف شارلمان^(٦٣).

ورغم الغموض الذي ساد عهد مورجاتو الذي إمتلأ بالجدل الدينى، والسياسى، كما سبق أن أشرنا، فقد جاء ألفونسو الثانى بعد ذلك (١٧٥-٢٢٨م/٧٩١-٨٤٢م) ليحسم كل هذه الصراعات الفكرية والسياسية، عندما إتخذ جانب الكنائس الغربية بوضوح وحسم، مما جعل شارلمان والبابا يعترفان^(٦٤) به ملكاً على أشتورياس. وأيضاً فقد بدأ ألفونسو الثانى سياسة مناهضة للأمويين فى الأندلس.

والأهم من كل ذلك، أن الملك ألفونسو الثانى، الذى تلقب بالعفيف فى أواخر عهده، لم يكتف برفض نحلة التبنى، واتباع مذهب الكنائس الكارلونية الغربية، بل أنه سعى إلى إذكاء الروح الدينية المسيحية فى مملكته، فأشبع على أيامه إكتشاف ضريح القديس يعقوب (شانت ياقب) فى ١٩٨هـ/٨١٣م، على جبل بمنطقة أمية، وأمر ألفونسو بإقامة^(٦٥) كنيسة فوق الضريح، وأصبحت مدينة Santiago de Compostela مزاراً لجميع المسيحيين فى جميع أنحاء العالم. وكان لهذا الاكتشاف أكبر الأثر فى غلبة الشعور الدينى ضد المسلمين^(٦٦)، وسيصبح الخطر الإشباني منذ ذلك الحين شديد الوطأة على الأندلس، رغم هجمات المسلمين المتواصلة على مملكة أشتورياس، التى عرفت منذ عهد الملك ألفونسو الثانى، بمملكة ليون، كما سبق أن أشرنا.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن تفاصيل الصراع والمد والجزر العسكري بين مسلمي الأندلس، والأشتوريين أو الليونيين في عهد الملك ألفونسو الثاني، فقد كان ذلك مجالاً لإحدى دراساتنا السابقة^(٦٧)، ولكن ما نريد التركيز عليه هو أن ألفونسو الثاني منذ بداية عهده، قد بدأ يستعين بمساعدات قدمها له^(٦٨) شارلمان، خاصة بعد بعض الهزائم التي منى بها أمام المسلمين^(٦٩) زمن الأمير الحكم الرضي، الذي توالى الحملات الإسلامية في عهده على أشتورياس/ ليون وكذلك كان الحال زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٧٠).

ولم يكتفَ الملك ألفونسو الثاني بذلك، بل أنه بدأ بمد المتمردين بالأندلس كما سبق أن أشرنا بالمدد العسكري، وساعدهم في التمرد على الإمارة الأموية لاسيما في القسم الغربي من الأراضي الإسلامية في ماردة وما حولها، وستستمر هذه السياسة الإسبانية فيما تلا ذلك، بعد عهد ألفونسو الثاني.

ويبدو أن أصدقاء قضية التبنّي وانقسام الكنائس الإسبانية حولها، وإتجاه كنيسة أشتورياس الرسمية، منذ أواخر عهد مورجاتو، وبداية من عهد ألفونسو الثاني، إلى التمسك بالكاثوليكية الغربية، قد ألقت بظلالها أيضاً على الحياة الدينية والفكرية بالأندلس، فقد تواكب مع هذا الإتجاه الديني المتشدد في أشتورياس، نمو اتجاه متشدد أيضاً في الأندلس في عهد الأمير هشام الرضا، (١٧٢ - ١٨٠هـ / ٧٨٩ - ٧٩٦م)، ففي زمنه، دخل المذهب المالكي إلى الأندلس، وهو أحد المذاهب الإسلامية السنية الأكثر إلتراماً. وكان أهل الأندلس يتبعون قبل ذلك مذهب الإمام الأوزاعي الشامي المتوفي سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م.

وأول من أدخل مذهب الإمام مالك بالأندلس، هو أبو عبد الله زياد إبن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبظون، وكان قد رحل إلى المشرق في بداية عهد الأمير هشام، بعد عام واحد من إمارته، وذهب إلى المدينة حيث أخذ عن مالك، وتبعه عدد من رواة الحديث مثل فرغوس ابن العباس، وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند. وانتشر المذهب المالكي بالأندلس منذ عهد هشام، وأصبح لفقهائه مكانة سامية لدى الأمير الأموي، وركز الأمير هشام جهوده على الجهاد وبناء المساجد^(٧١).

تزامن إن ميل الكنيسة الليونية بكل ثقها، إلى كنائس الغرب الكارلونجي الكاثوليكية المتشددة، في نفس توقيت ميل الأندلس الإسلامي بكل ثقله إلى المذهب المالكي الملتزم، في أعقاب عهدي سيلو ومورجاتو المتوازيين، مع عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، حيث ساد الصلح والسلام بين المسلمين والإسبان، في وقت سُمح فيه بالجدل الديني في

أشتورياس بين فكرين دينيين، أحدهما متشدد، والآخر يقترب من وجهة النظر الإسلامية، وأيضاً في وقت كان مذهب أهل الأندلس المسلمين فيه، وهو الأوزاعي، يميل إلى الاعتدال والوسطية، إذا ما قورن بالتزام مذهب الإمام مالك.

ورغم ما ساد عهد ألفونسو الثاني العفيف، من تعقب وكرهية ضد مسلمي الأندلس، وحروب دموية لا تنتهي، فهو لم يكن بعيداً عن المؤثرات الإسلامية.

فقد قدمت لنا بعض المصادر الإسلامية، والكتابات الإسبانية أخباراً، عن علاقة ربطت بين كل من الملك ألفونسو الثاني، والمتمرد البربري محمود بن عبد الجبار المصمودي وأخته الثائرة جميلة، في مدينة ماردة.

لقد لجأ كل من محمود وأخته، إلى الملك ألفونسو العفيف بعد فشل ثورتهم، وانتقلا للاستقرار في كنف هذا الملك الإسباني، وتحصنا في حصن سانتا كريستينا على نهر مينه Mino، وهو الحصن الذي وهبه الملك ألفونسو لهذا الثائر، على الأمير عبد الرحمن الأوسط، هو واتباعه.

وكان كوديره^(٧٢) قد قدم عرضاً لهذه الأحداث، وللعلاقة التي ربطت بين الملك الإسباني، والثائر المسلم في أحد أبحاثه القيمة، واعتمد كوديره في دراسته على المصادر العربية، التي أشارت لهذه الأحداث كإبن الأثير في روايته لأخبار سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م وإبن سعيد في ذكره لأحداث سنة ٢٠١هـ/٨١٦م، وأيضاً على إبن القوطية، وصاحب أخبار مجموعة، وإبن خلدون إلى جانب رجوعه لمدونات إسبانية مثل البلننسي Albeldense، وسباستيان Sabastiani^(٧٣).

ويرجع محمود بن عبد الجبار البربري وأخته جميلة إلى بني طريف من مصمودة، وقد تمردا مع سليمان بن مرتين المولد بغرب الأندلس على الحكومة المركزية في قرطبة، وإستمرت إنتفاضتهما مشتتة حتى سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، عندما أرسل إليهم الأمير عبد الرحمن الأوسط، جيشاً حاصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم، فأطاعوه، ولكن سرعان ما تجدد انتزاعهم الذي استمر حتى عام ٢٢٠هـ^(٧٤)/٨٣٥م، وهو العام الذي أرسل فيه عبد الرحمن الأوسط جيوشاً طاربتهم، ففر محمود وأخته مع اتباعهما، إلى الملك ألفونسو الثاني كما أشرنا^(٧٥). وقد رحب به^(٧٦) الملك ألفونسو، وأكرمه، واتخذة سلاحاً يشهره في وجه الدولة الأموية. ولكن محمود سرعان ما استشعر الندم لموقفه المخزي من المسلمين، وفضل أن يستسلم للأمير عبد الرحمن الأوسط، فطلب منه الأمان. ولما علم الملك ألفونسو بذلك،

ناهضه، وتمكن من الظفر به أسيراً، ثم أمر بقتله سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م. أما أخته جميلة، فقد ظلت تقاوم حتى سقطت أسيره بدورها وحملها ألفونسو الثاني قهراً على التنصر، ثم تزوجها. وكان أحد أعقابها هو أسقف مدينة شانت ياقب^(٧٧).

لم تكن الأقلية المسلمة في أشتورياس، عديمة الفائدة لهذا المجتمع. وعلى الرغم من غموض أخبار هذه المرحلة الزمنية من تاريخ المملكة الإسبانية الناشئة، في كل من المصادر العربية والإسبانية على السواء، ورغم عدم ورود مادة علمية جلية عن أوضاع المسلمين في المدن التي سقطت في أيدي الأشتوريين في بداية حركة الإسترداد، إلا من شذرات متناثرة هنا أو هناك في هذه المصادر، فقد إستطعنا مما سبق عرضه، أن نستشف، أنهم قد ساهموا بصورة ما في أحداث هذه المملكة، ولدينا نص أورده إبن حيان، ربما هو متأخر قليلاً عن الفترة الزمنية التي تناولناها، وحددناها للدراسة، فهو يرجع إلى سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م في عهد الملك أردون الثاني بن ألفونسو الثالث (٣٠٢ - ٣١٢هـ/٩١٤ - ٩٢٤م) الذي خلف أخاه غرسيه إبن ألفونسو على عرش مملكة ليون.

لقد شن أردون الثاني هجوماً واسع النطاق على الأراضي الإسلامية في الغرب، وركز هجومه على كورة ماردة، واستولى على حصن الحنش Alanje، ونجح جميع حاميته، وقد سبق هذا الهجوم، بإغارة على يابرة Evora، وإستشهد في هذه الغارة معظم سكان المدينة ومن بينهم واليها مروان بن عبد الملك بن أحمد.

ويشير نص إبن حيان الذي يتعلق بخبر إغارة أردون الثاني على حصن الحنش سنة ٣٠٣هـ إلى أن هذا الملك الإسباني قد عبر "وادي تاجة على قنطرة السيف، ومعه الأدلاء من أهل ملته ومن نزاع فسقة المسلمين إليه، وكان أمهرهم في الدلالة رجلان من أهل ماردة، مصمودة من البرانس ممن صار عنده، يعرف أحدهما بابن الريشي... على دلالتهما، فأخرجهما معاً على خيل ضخمة، قدماها أمام عسكره ليغافص مدينة مكناسه قبل أن ينذر بها أهلها، فيأخذون حذرهم منه...."^(٧٨).

وهذا النص يشير إلى أن الملك الليوني قد إستعان بخونة من المسلمين، الذين نزعوا، وانتقلوا للإقامة في مملكته، ويخبرنا هذا النص بأنهما كانا دليلين من البربر، أحدهما يسمى إبن الريشي.

وهذا يعني أن ملوك أشتورياس - ليون قد إعتادوا إستخدام الأدلاء من الأقلية المسلمة المقيمة في مملكتهم. وعلى ذلك فإن كثير من الإنتصارات التي أحرزتها حركة

الإسترداد، لم تكن لتتم إلا بإرشاد ومعاونة هؤلاء الأدلاء المسلمين. وهذا يعنى أن الفضل الكبير فى هذه الإنتصارات الليونية الأولى، على المسلمين، إنما كان يرجع فى جزء كبير منه للأقلية المسلمة التى كانت تعيش فى ليون وأنها لم تكن تعزى فقط لشجاعة الإسبان. ونستشف أيضاً من بقية النص، الذى أورده ابن حيان، أن الدليلين، قد خانا الملك أردون، ومالاً، إلى مصلحة المسلمين فى غرب الأندلس، مما أدى إلى قتلها على يد الملك الليوني عندما علم بذلك وفى ذلك يقول ابن حيان «فطن (يقصد أردون) لدلسة ابن الريشي وصاحبه، فدعا بهما، ووبخهما على ما فعلا بمقدمته، فاعتذرا عنه بالخطأ فى ظلمة الليل، فلم يصدقهما فقال، لا، ولكن محمية الإسلام أملتكما عن نصيحتي، وحملتكما على كفران إحساني، وأردتما هلاكي، ثم أمر بهما، فضربت أعناقهما، ورجعت مغيرته بغنائم متوسطة من السبي»^(٧٩).

ومما سبق نستنتج أن الأقلية المسلمة فى ليون، كانت عزيمة الفائدة على الصعيد العسكري أيضاً فى هذه المملكة. فهذا الخبر الذى أورده ابن حيان، شديد الأهمية، فاستعانة الملك أردون الثانى، بأدلاء من المسلمين، الذين كانوا يعيشون فى مملكته، لم يكن بالطبع وليد عهده، وإنما، نرجح أن هذه كانت سياسة إنتهجها ملوك أستورياس - ليون من قبله، وأن استعانة الإسبان بأدلاء من الأقلية المسلمة، كان أمراً معروفاً وشائعاً فى الجيش الأشتوري الليوني.

ونستنتج أيضاً أن هؤلاء الأدلاء، قد انقسموا إلى صنفين، الصنف الأول، ممن خانوا قضية دينهم، ونظروا إلى مصالحهم، وهم من عبّر عنهم ابن حيان بقوله "تزع فسقة المسلمين إليه"، والصنف الثانى مثل ابن الريشي الوارد ذكره فى الخبر، هو وصاحبه البربري المصمودي الآخر، ممن ربما يكونوا قد أكرهوا على القيام بمهمة إرشاد الجيش الإسباني على أراضي الأندلس الإسلامية، بدليل أنهما تواطئا على أردون، وسببا فى خسارته العسكرية. وانتهى الأمر بمقتلهم. وفى كل الأحوال، ففي هذا الخبر إشارة إلى الدور العسكري الهام، الذى لعبه المسلمون فى أستورياس - ليون فى هذه المرحلة المبكرة من حركة الإسترداد.

لقد قامت الأقلية المسلمة، بدور لا يمكن إغفاله فى كافة المجالات فى أستورياس عقب نشأتها، فلغوياً، ترك المسلمون بصماتهم من خلال أسمائهم فى سجلات الكنائس، وفى هذا إشارة إلى التأثيرات اللغوية فى المجتمع الإسباني الوليد، ولعل هذه هي بداية نشوء

حركة الترجمة في المملكة الإسبانية، فبالأكيد أن هذه الأقلية المسلمة، قد لعبت دوراً بإجادتها اللغة العربية لغة القرآن، وإضطرارها لتعلم اللغة الإسبانية المتداولة آنذاك، فقامت بدور فعال في الترجمة، وبمرور الوقت، ستنبأ في ترجمة الثقافات والمؤلفات الإسلامية، مما يجعلنا نرجح في هذه الدراسة، أن بداية نشوء حركة الترجمة، وعبور الحضارة الإسلامية إلى إسبانيا المسيحية، ومنها إلى الغرب الأوروبي، قد بدأ في هذه المرحلة المبكرة جداً، من تكون مملكة أستورياس، وليس في أعقاب سقوط طليطلة، كما شاع في أغلب الكتابات التاريخية^(٨٠)، ولنا أن ننصوّر الدور الذي قام به آلاف المسلمين من الأسرى والسبي، في موجات المد والجزر، في حركة الإسترداد، وإمتلاء قصور وبيوت الإسبان الأشتوريين، بهم، في الخدمة وزراعة الأرض، فضلاً عن سكان المدن الإسلامية، التي تمكن ملوك أستورياس في بداية نشأة مملكتهم، من الاستيلاء عليها، إلى جانب آلاف اللاجئين إلى هذه المملكة من المتمردين البربر والمولدين الفارين من حكومة قرطبة المركزية، في صحبة زعماء الثورة مثل محمود بن عبد الجبار المصمودي، وأمثاله، في بدء تأسيس حركة ترجمة واسعة النطاق في المجتمع الأشتوري.

لقد لعب الأسرى المسلمون الذين إضطروا للعيش في مدنهم التي سقطت في أيدي ملوك أستورياس في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، دوراً كبيراً في نقل مظاهر الحضارة إلى إسبانيا المسيحية. ولعل ما ذكره ابن حيان عن أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز في عهد الملك ألفونسو الثالث (٢٥٢ - ٢٩٦ هـ/ ٨٦٦ - ٩٠٩ م)، لمدة عامين، ما يؤكد ذلك، وهو الذي ذكرته المدونات الإسبانية باسم Abohalit تحريفاً لكُنْيته أبي^(٨١) خالد. لقد تلقى الوزير هاشم، معاملة طيبة في أسره، وبهر عيون الملك الإسباني الليوني، ورجال بلاطه من لباقة ونكاء وسعة ثقافة، ولا عجب فقد كان، المستوى الحضاري للأندلس الإسلامي أرفع بكثير من إسبانيا المسيحية^(٨٢).

ستظل صفحة هذه الأقلية المسلمة، في بدايات نشأة مملكة أستورياس في طي الكتمان، وسيظل هؤلاء كالجناد المجهولين، فهم الذين زرعوا، وشيدوا، القصور، والكنائس، والأبيرة، ونقلوا الحرف الإسلامية إلى إسبان هذه المملكة، وهم الذين ساهموا في حركة الترجمة، ونقل العلوم الإسلامية والفنون في بدايات نشأة أستورياس، وساهموا في انتصارات حركة الإسترداد المنوية، في بداياتها، دون أن تشير إلى جهودهم المصادر والكتابات التاريخية.

إن الزواج المختلط، مثلما كان شائعاً في المجتمع الأندلسي الإسلامي فإنه أيضاً كان أمراً شائعاً في^(٨٣) إسبانيا، فملوك إسبانيا ومن بينهم ملوك أستورياس الأوائل، وهم يعيشون في أراضي كان لا يزال بين سكانها الكثير من المسلمين، فإن من المنطقي جداً أن يتخذوا لأنفسهم زوجات من أصول إسلامية، والناس على دين ملوكهم، وإذا كان الزواج المختلط في الأندلس، قد أسفر عن إرساء دعائم حضارة إسلامية مميزة، بفضل التأثيرات المحلية إسبانية الأصل، فبلا شك أن الزواج المختلط في ممالك إسبانيا المسيحية، بما فيها مملكة أستورياس الناشئة كان عاملاً على إرساء دعائم حضارة إسبانية مميزة، عن سائر الحضارات الأوروبية الأخرى التي، ستبذل مع أخريات العصور الوسطى.

ولم تكن هذه الدراسة إلا محاولة منا، لكشف النقاب عن، فئة من المسلمين مُستضعفة، قَدّمت رغباً وضعفها وقهرها من قِبَل الإسبان عطاءً حضارياً للإنسانية.

الهوامش:

- (١) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بيروت، ١٩٦٨، ج ٤، ص ١٧٩ - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول بعد الفتح إلى بداية عصر الخلافة، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٠٨ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ١٦٨ وهناك آراء ترى أنه ابن أخي لذريق أو أنه حفيده الذي قاتل إلى جانبه.
F.T. Simonet, Historia de Los Mozarabes de España, Madrid, 1897, 1903, p. 148.
واختلفت الآراء حول بلای في المدونات الإسبانية وكانت مجالاً للنقاش - ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى:
Cronicas Asturianas, Introduccón y edicion critica de Juan Gil Fernandez, traducción y notas de José Moralejo, Universidad Do Oviedo, Oviedo, 1985. راجع المقدمة ص ١٥ وما يليها.
Ivan Perèz Marines, Las obras de las cronicas De Alfonso III: Cronica De Alfonso II Sobre el final de los Reyes Godos, Leyenda De Covadonga, Cronica de Sabastián de Salamanca, y cronica de Ordoño I, Revista de Humanidades, 20, Madrid Universidad Autónoma, 2014, p. 29 - 54.
Sanchez Albornoz (Claudio), Los Reinos cristianos españoles, (٢) coleccion Austral, Madrid, p.14.
- (٣) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الأستاذ محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٩، ج ٦، ص ٨٢،
Luis Suarez Fernandez, Historia de España Antigua y Media, Madrid, 1976-1977, p. 143-144.
- (٤) سحر عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩١، ج ٢، ص ٢٩٣.
- (٥) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص ٢٠٩.
- (٦) عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ٩٢ - ٨٩٧هـ، دمشق، ١٩٧٦، ص ٢٦٩. ومن الجدير بالذكر أن المدونات الإسبانية تعتبر هذه الموقعة التي لم تهتم بذكرها المصادر العربية، هي البداية الرمزية للملكية الإسبانية الجديدة.
- (٧) سحر سالم، المرجع السابق، ح ٢، ص ٢٩٦.
- (٨) حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٤٠.
- (٩) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (سحر سالم، تاريخ بطليوس، ح ٢، ص ٢٩٦)، وتُجمع الدراسات الإسبانية الحديثة على أن مدونة البلدنسي Chronicle Albeldense تسجل بأخبارها تفاصيل المد الإسباني في الأراضي الإسلامية، خطوة بخطوة بحيث

- أنها تعد وكأنها بمثابة جدول زمني للمد الأشتوري.
- (١٠) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائهما رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، نشر لافونتي ألكنترا، مجريط، ١٨٦٧، ص ٦٢، سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج ٢، ص ٢٩٧، عبادة كحيل، تاريخ النصر في الأندلس، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٦٦، ٦٧.
- ومن مظاهر الغموض الذي يحيط بهذه الفترة من تاريخ أشتورياس - جليقية ما ذكره صاحب الأخبار المجموعة، فربما خلط بين أعمال بلاي وأعمال ألفونسو الأول، فقد توفي بلاي سنة ١١٩٩هـ/٧٣٧م في آراء بعض المؤرخين (حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٢٧)، في حين تذكر بعض الروايات المسيحية أنه عاش حتى سنة ١٢٢٧هـ/٧٤٥م، أما الفونسو العاشر فيجعل وفاته سنة ١٢٢١هـ/٧٣٩م، ثم خلفه فافله الذي توفي بدوره بعد عامين أي عام ١٢٢٣هـ/٧٤٠م.
- ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى:
- (Aguado Bleye, Manuel De la Historia De España, T.I, p.478).
- (١١) عبادة كحيل، تاريخ النصر، ص ٦٩.
- (١٢) Aguado Bleye, op. cit., p. 478.
- (١٣) Dozy (R), Histoire des Musulmans d'Espagne, ed, lévi-Provençal, Leiden, 1932, vol, II, p. 130.
- (١٤) يذكر المؤرخ الإسباني الكبير دون رامون منندث بيدال أن ملوك أشتورياس كانوا يشعرون أنهم خلفاء القوط في طليطلة، وأنهم إمتداد وإستمرار للملكية الإسبانية كلها، التي تحررت جزئياً، وما تزال محتلة من المسلمين على حد إعتقادهم في معظمها، فكانوا يقتصرون على التلقب بمجرد لقب أمير أو ملك حتى تبدل الحال في عهد ألفونسو الثالث العظيم (٢٥٢ - ٢٩٨هـ/ ٨٦٦ - ٩١٠م) الذي أطلق عليه مسمى الإمبراطور العظيم Magnos imperator ومنذ ذلك التاريخ بدأ الملوك الإسبان في إستخدام هذا اللقب مثل أريدون الثاني (٣٠٢ - ٣١١هـ/ ٩١٤ - ٩٢٣م) بعد أن إستقر بلاطه في ليون، وكذلك ردميره الثاني (٣١٨ - ٣٣٩هـ/ ٩٣٠ - ٩٥٠م) و ردميره الثالث (٣٥٥ - ٣٧٤هـ/ ٩٦٥ - ٩٨٤م)، الذي استخدم لقب بازيليوس الأعظم أيضاً Magnus Basillus الذي تلقب به شارلمان وأباطرة البيزنطيين وقبصر سيمون في بلغاريا (R. Menendez Pidal, La España del Cid, Madrid, 1947, vol, I, p.67).
- (١٥) استغل الملك الأشتوري ألفونسو الأول الحروب الأهلية التي عصفت بمسلمي الأندلس لتأمين مملكته الناشئة وتأسيس ملك قوي يناوئ المسلمين.
- (١٦) سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج ٢، ص ٢٩٩.

(١٧) أخبار مجموعة، ص ٦١ - ٦٢ وذكر صاحب الأخبار أن بلالي هو من أغار على الأراضي الإسلامية فيما بين عامي ١٣٣هـ، ١٣٦هـ مستغلاً ظروف المسلمين بالأندلس، وقد سبق أن أوضحنا في حاشية رقم (١٠) أن هناك ثمة خلط وإرتباك تاريخي وقع فيه صاحب الأخبار، فيما يتعلق بشخصية الملك الإسباني، فالمصادر والمراجع الإسبانية، تؤكد على أنه كان ألفونسو الأول وليس بلالي كما ذكر صاحب أخبار مجموعة، وعن أخبار المحل والقحط ارجع إلى (ابن عذاري، البيان، المغرب في أخبار الأنديلس والمغرب، تحقيق أويثي ميراندا ومحمد بن تاووت، ومحمد إبراهيم الكتاني، ١٩٦٣، ج ٢، ص ٣٨).

وعن غارات الملك ألفونسو الأول على أراضي إسترامادورة وحرقة الأراضي ارجع إلى: Albarran (Manuel Torron) El Solar de los Aftásies, Badajoz, 1953, p. 94.

(١٨) سحر سالم، تاريخ بطليوس، ص ٢٠٩، وما يليها.

(١٩) يذكر ليفي بروفنسال نقلاً عن سافدرا أن ألفونسو الأول أحرز انتصارات في منطقة بونتوفيوم بجليقية، وأن عدداً كبيراً من المسلمين قد لقوا مصرعهم على أيدي الأشتوريين في هذه الموقعة، التي صمّت عن ذكرها المؤرخون المسلمون، ويؤكد ليفي بروفنسال أن عمر بن عبد الرحمن الداخل، قد أسر في هذا الاشتباك ثم ذبح بأمر الملك الأشتوري.

(Levi Provençal, histoire, T.I, p. 115).

(٢٠) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٣٨٧ - سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج ٢، ص ٣٠١.

(٢١) ابن عذاري، البيان، ج ٢، ص ٥٤.

(٢٢) ألبية والقلاع: تطلق الروايات الإسلامية اسم ألبية والقلاع على ولايتي قشتالة القديمة Alava El Castilla وألبية Alava وهي المَعْرِبة من اللاتينية القديمة Vetula. وألبية في الواقع، هي إحدى ولايات بلاد البشكنس وتمتد غرباً حتى برغش Burgos وشمالاً حتى خليج بسكونية، وجنوباً حتى نهر إبرة Ebro. وأما القلاع أو قشتالة فكانت تضم ما تبقى من المنطقة من برغش شمالاً إلى ما بعد نهر دويره وجبال وادي الرملة Guadarrama وحتى موقع مدينة مدريد الحالية (محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، ص ٢١٦).

(٢٣) Antonio Ballesteros Beretta, Sintesis de historia de España, Barcelona, 1936, p.61, Sanchez Albornoz, Los reinos, p. 17.

(٢٤) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٣٨٧، سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج ٢، ص ٣٠٣، Luis Suarez, Historia de España, Madrid, 1977, p.25.

Levi Provençal, Histoire, T. I, p.117. (٢٥)

ولمزيد من التفاصيل عن هزيمة ألفونسو ملك أستورياس - ليون أمام جيوش الإمارة الأموية في عام ١٧٩هـ/٧٩٥م ارجع إلى (ابن عذاري، البيان، ج٢، ص ٩٦، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم، ص ٢١٨).

وعن توغل ألفونسو الثاني بقواته حتى وصول الأشبونة ارجع إلى:

(Albarran, El Solar, p. 95, Luis Suarez, Historia de España, Madrid, 1977, p. 31, Aguado Bleye, Manuel, T.I, p. 480, Sanchez Albornoz, los reinos, p. 17-18).

وعن حملات الحكم الرضي ارجع إلى (المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٣١٨ - ٣١٩، سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج٢، ص ٣٠٦).

وعن حملات عبد الرحمن الأوسط إلى ألبه والقلاع وصانفة سنة ٢٠٨هـ بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد التي تم فيها اقتحام مملكة أستورياس - ليون من فج جرنيق، ارجع إلى:

(Levi-Provençal, Histoire, T.I, p. 203).

(٢٦) ولمزيد من التفاصيل عن عناصر السكان بالممالك الإسبانية ارجع إلى (عبادة كحيلة، تاريخ النصرى، ص ٦٠ وما يليها).

(٢٧) في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي منذ عهد الملك ألفونسو الثاني

الغيف أصبحت مملكة أستورياس - جليقية، تُدعى مملكة ليون Leon بعد إمتداد

حدودها على حساب المسلمين. وصاحب ذلك إنشاء عدد من القلاع في شمال المسينا

الإسبانية، مهدت لظهور إمارة قشتالة أو بلاد القلاع، مضافاً إليها ألبه Alava في

المصادر الإسلامية. وكانت هذه الإمارة تنزع نحو الإستقلال، وبعد ذلك تزعمت

قشتالة الإمارات الإسبانية ولكن ظلت ليون أو أستورياس تتميز عن غيرها من ممالك

إسبانيا.

(٢٨) عن لفظة Mauri ومشتقاتها إرجع لمزيد من التفاصيل إلى:

Nevil Barbour, Actos de IV congreso estudios, Arabes e Islamico, Coimbra, Lisboa, 1968, p. 25, 197, 269.

وأيضاً عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢٩) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٣٠) Richard Hitchcock, Mozarabs in Medieval and early modern Spain, Identities and influences, 2016, p. 53 - 54.

وارجع كذلك إلى:

M. Manzanares de Cirre, Arabistas Españoles del siglo XIX, Madrid, Instituto hispano arabe de cultura, 1971, p. 10 - 50.

(٣١) R. Dozy, Recherche sur l'histoire de l'Espagne, Leiden, 1881, p.123.

وارجع كذلك إلى

H. T. Norris, The berbers in Arabic literature, London, 1982, p. 19-20.

- (٣٢) عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص ٦١.
- (٣٣) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص ١٧٩.
- (٣٤) عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص ٧٠.
- (٣٥) لمزيد من التفاصيل عن خبر زواج أخت بلاى من القائد البربرى مونوسة ارجع إلى:
Luis Suarez Ferdenendez, Historia De España Antigua Y Media, p. 143-145,
Guichard (Pierre), Al Andalus: Estructure antoropologica de una sociedad Islamica en Occidente, Barccelona, 1976, p. 108.
وعن الملك سيلو (شبالون -) ارجع إلى ابن خلدون، د٤، ص ١٨٠؛
- Joseph F.O Callaghan, A History of Medieval Spain, Cornell University Press, 1975, United States of America, p. 163.
- Andrea Mario Ordonez Cuevas, La Legitimidad de los Reyes Asturianos en las Cronicas de Alfonso 111, Estudios Medievales hispanicas, 2016, p. 7-43. (٣٦)
- Luis Suarez Fernandez, Historia de España Antigua y Media, 1976, p. 164. (٣٧)
- Andrea Mario Ordonez Cuevas, op.cit., p. 40-43. (٣٨)
- Chronica Albeldense, Patrologia Latina, Vol. 129 (Col 11378), p.55. (٣٩)
- Luis Suarez, op.cit., p. 164-165. (٤٠)
- ولمزيد من التفاصيل عن نظم الحكم والملكية فى إسبانيا المسيحية، ارجع إلى:
Claudio Sanchez Albornoz, Viejos y nevos estudios sobre las instituciones medievales españoles, 1983, Vol. III.,
Alvaro Cavajal Castro, The monarchy and the elites in early medieval león (ninth – eleventh) centuries, Journal of medieval Iberian studies – published on line, 30 July, 2015,
Ivan Perez, Las obras de las cronoicas de Alfonso III, Cronica de Alfonso II sobre el Final de los reyes godos, Leyenda de Covadonga Cronica de Sebastian de Salamanca y cronica de Ordonio I, Journal of medieval Iberian studies, vol 7, 2015, p. 249-265.
Luis Suarez, op.cit., p. 164. (٤١)
- (٤٢) راجع ما ورد فى مدونة البلدانسى النص الأصيل،

- Chronica Abdeldense op.cit., Patrologia Latina, vol 129 (Col. 11378, p. 129).
- وعن أم مورجاتو ارجع إلى البحث المنشور في مجلة المتحف العالمي بإسبانيا Eusebio Martinez De, Vela 1863,
- Fernandez De Bethencourt, Historie genealogica y heridica de la monarquia Española, Madrid, 1897, Vol. I, p. 167.
- ولمزيد من التفاصيل عن حكم وعهد ألفونسو الأول ارجع إلى:
- Luis Alfonso de Carvallo, Antigüedades y cosas memorables del principado De Asturias, 1695, p. 126.
- وعن عهد سيلو ارجع اليه في ص ١٤٧ وما يليها ومورجاتو ص ١٥٤ وما يليها.
- وعن أصول والددة الملك مورجاتو أيضاً ارجع إلى:
- Cronica General De España, De Ambrosio De Morales, Madrid, 1574 – Vol. VIII, Libro XIII.
- Luis Suarez Fernandez, op.cit., p. 165. (٤٣)

- (٤٤) عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص ٧٤.
- (٤٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة ١٩٦٦، ح٦، ص ٧٩، ابن خلدون، العبر، ح٤، ص ١٨، واسماه ابن الأثير - مورقاط.
- وهو في ذلك يقول في أحداث سنة ١٦٧هـ "وفيها هلك شيلون ملك جليقية فولوا مكانة أذفونش فوثب عليه مورقاط فقتله، فأضل أمرهم فدخل عليهم نائب عبد الرحمن".
- أما ابن خلدون فيسميه سمول قاط.
- وارجع كذلك إلى (محمد عبد الله عنان، تاريخ الإسلام، ص ٢١٩).
- (٤٦) Luis Alfonso De Carvallo, Antigüedades y cosas memorables del principado de Austrias, p. 154, 155.
- وعن مساعدة المسلمين في قرطبة زمن الأمير عبد الرحمن الداخل لمورجاتو حتى يتمكن من الوصول إلى الحكم يقول لويس ألفونسو دي كارفالو ما نصه:
- "Vego que fue aufento Don Alfonso el Cafto, fe apoderó de Reyno Mauregato y todo fue el mifmo año que murió Don silo y por la ayuda que el rey moro de Cordova le avia ambiado para echar del Reyno a don Alfonso el Cafto".

وارجع كذلك إلى:

- Cronica General De España, tomo VII, Libro, XIII.,
- Aguado Bleye, op.cit., p. 479.,
- Levi Pronvencal, op.cit., t.I., p. 117.,
- Emily, C.F., Francmano, The leyend of the tribute de la cien doncellas, women as wareavers and the coin of salvation, revista candiense de Estudios Hispanicos, vol 32, No. I, Otoño 2007, p. 9-25.
- ومن أهم المراجع العربية التي تحدثت عن معاونة عبد الرحمن لمورجاتو أو مورقاط لكي يصل إلى حكم أستورياس (ارجع إلى سحر سالم، تاريخ بطليوس، ح٢، ص ٣٠٣).

(٤٧) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق د. محمود على مكى بيروت، ١٩٧٣، ص ٦٧٤، إن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٥٣، ١، ص ٤٨.

ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى (سحر سالم، تاريخ بطليوس ح١، ص ٢٣٥). وعن إنتفاضات المولدين والمستعربين بوجه عام، وعلاقتهم بإسبانيا المسيحية ارجع إلى: Simonet, op.cit., p. 307-316.

(٤٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق دون خليان ريبيرا، مدريد، ١٨٦٨، ص ٣٣، أخبار مجموعة، ص ١٠٣، ابن عذارى، البيان، ح٢، ص ٧٧ - ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى (السيد عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ١٨٥. وبحته القيم، العلاء بن مغيث الجذامي النائر على دولة بني أمية في الأندلس هل هو يمني من جند مصر، أحد مقالات كتابه بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، القسم الأول، بيروت، ١٩٩١، ص ٤٣٩ - ٤٤٤).

(٤٩) السيد عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول، ص ٢٦٠.
(٥٠) راجع مدونات الملك ألفونسو الثالث Rotense, Albeldense عهد الملك مورجانتو - للإطلاع على تفاصيل عهده وعلاقته بمسلمي الأندلس وارجع كذلك إلى: Luis Alfonso De Carvallo, Antigüedades, P. 155.

وهو في ذلك يقول:

"Y por la paz, per petua Maurgato y los fueceffores en el reyno, a via de dar a Abderramen y a los que depues de el pucedieffen en el Reyno de Cordova, Cada año de feudo y fuero per pemo, cien doncellas, christianas, les cincuenta nobles y las cincuenta de gente common"

وارجع كذلك إلى:

José Maria Roca, El tributo de las cien doncellas", Boletin del Instituto de Estudios Asturianos, N, 5, 1948, p. 129-162,
Luis Suarez, Historia de España, p. 165-166,
Emily C. Francomano, The Legend of the tribute, p. 9-25,
Simon Barton, Conquerors, Brides, and concubiens, Interfaith relations and social power in Medieval Iberia, Univesity of Pennsylvania press, 2015, p. 129.
Emily Francomano, op.cit., 9-25.

(٥١)

Luis Suarez, op.cit., p. 166.

(٥٢)

Emily Francomano, op.cit., p. 20-25.

(٥٣)

(٥٤) ظهرت أسطورة المائة فتاة في الكتابات الإسبانية بتركيز إعتباراً من القرن الثالث عشر

الميلادى، وخصوصاً فى كتابات Lucas De Tuy الذى توفى سنة ١٢٤٩م وهو أسقف هذه المدينة، وله مدونة تحمل تحليله لمواقفه تجاه ملوك الإيبان فى العصور الوسطى، وخصوصاً فيما يتعلق بحركة الإسترداد ضد المسلمين، وأيضاً تعبر عن موقفه من الكنيسة فى زمنه.

Emily Francomano, op.cit, p. 20-25.

وكان معاصراً للملك فرناندو الثالث، وتمتع بحماية من الملكة برنجويلا وللمزيد من التفاصيل عنه وعن مدونته ارجع إلى:

Bernard F. Reilly, the Chronica Latina Regum Castellae: Historical Composition at the court of Fernando III of Castille 1217-1252, Jan, 2010.,

J. Bianchini, the Queen's hand: Power and authority in the Rein of Castille, Jan, 2012.

Simonet, Historia de los Mozarabes, p. 272-274.,

Francisco Rico, La clerecia del mester, Hispanic Review, Vol.

53, No. 2, Spring 1985, p. 127-150.,

Cullen, J., Chadler, Heresy and Empire, the Role of Adoptionist controversy in Charlemgne's conquest of the Spanish march, The international History Review, Volume 24, 2002, p. 505-527.

(٥٥)

(٥٦) عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص ١٢٩.

(٥٧) المرجع السابق، ص ١٢٩.

Luis Suarez Fernandez, op.cit., p. 169-172.

(٥٨) ألكوين Alcuin، سكسونى الأصل، ولد سنة ١١٧هـ/٧٣٥م فى يورك بإنجلترا -

ولكنه استقر فى المملكة الكارلونية وأصبح من أبرز مفكرىها وتوفى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م.

وهو من أهم معاصرى بيتوس أوف ليبانا الأشتورى، و الذى وافقه فى الجدل الدينى المنبثق عن نحلة التبنى التى تزعمها اليباندوس مطران طليطلة.

ومن أهم رجال الدين فى الدولة الكارلونية المعاصرين لهما، يبرز إسم كل من

بطرس البيزاوى Peter of Pisa الذى توفى سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م وكان عالماً باللغة

اللاتينية، ويولس الشماس Paul of Decon الذى عاش فى بلاط شارلمان وألف

كتاباً عن تاريخ المبارد وسمى بأبى التاريخ الإيطالى، وإبنهارد الفرنجى، مستشار

شارلمان الذى ولد سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م وتوفى سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م، وتيودولف

Theodolphus القوطى الذى توفى سنة ١٩١هـ، وكان من أبرز شعراء الدولة

وانجلبرت Engilipert الانجليزى الذى تزوج إبنة شارلمان.

ولمزيد من التفاصيل عن أشهر المفكرين فى الدولة الكارلونية المعاصرين لمفكرى

أشتورياس فى الفترة موضوع الدراسة، إرجع إلى (غادة حسن، هبة عبود، النهضة

الكارلونية زمن شارلمان ١٥١-١٩٩هـ/٧٦٨-٨١٤م، مجلة تشرين للبحوث

- (٥٩) والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، مجلد ٣٨، عدد ٥، ٢٠١٦).
Simonet, op.cit., p. 273-274.
- (٦٠) عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص ١٢٩، ١٣٠.
- (٦١) Jerrilynn, D, Dodds, Architecture and Ideology in Early medieval Spain, The Pennsylvania State, University press, p. 37-70.
- (٦٢) Obras Completatas De Beato De Liebana, Madrid, 1195, p. 674-675.,
Emily Francomano, The Legand, p. 12-25.
- (٦٣) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى:
Cullen. J. Chadler, Heresy and Empire the role of Adoptionist, op.cit., p. 505-527.
- (٦٤) Francisco Rico, La Clerecia, op.cit., p. 130-150.
- (٦٥) Aguado Bleye, op.cit., t.I., p. 480.
- (٦٦) سحر سالم، تاريخ بطليوس، د ٢، ص ٣٠٤، وما يليها.
- (٦٧) المرجع السابق، د ٢، ص ٣٠١، وما يليها.
- (٦٨) Sanchez Albornoz, Los Reinos, p. 17- 18, 19.
- (٦٩) المقرئ، نفح الطيب، د ١، ص ٣١٨-٣١٩، سحر سالم، المرجع السابق، د ٢، ص ٣٠٦.
- (٧٠) المرجع السابق، د ٢، ص ٣٠٦ وما يليها.
- (٧١) لمزيد من التفاصيل عن إنتشار المالكية بالأندلس ارجع إلى (السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٨٠ وما يليها).
- (٧٢) Codera (Francisco), Los Beni Meruan en Merida Y Badajoz, colección Estudios criticos de historia arabe Español, Madrid, 1917, p. 1-75.
- (٧٣) Op.cit., p.11 – 13, 22.
- (٧٤) أخبار مجموعة، ص ١٣٩.
- (٧٥) Codera, op. cit., p. 14 – 24.

Levi Provençal, Histoire, T.I, p. 210.

(٧٦)

- (٧٧) ابن سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨.
ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى (ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص ٦٧٤، سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٣).
- (٧٨) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، نشر ب. شالميتا، ف. كورينطي، م. صبح، مدريد ١٩٧٩، ص ١٢٠.
وارجع كذلك إلى Aguado Bleye, op. cit., p. 487، سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج ٢، ص ٣١٤.
- (٧٩) ابن حيان، المصدر السابق، ص ١٢١ - ١٢٢.
- (٨٠) أحمد بدر، تاريخ الأندلس، دمشق، ١٩١٢، ص ٤١٢ وما يليها، علي أحمد، المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوروبي وكيفية إنتقالها خلال العصور الوسطى، أحد بحوث مؤتمر الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٥، ص ٢١٤.
محمد الصمدي، تأثير الإسلام في التفكير الديني المسيحي خلال العصور الوسطى، أحد بحوث المؤتمر السابق، ص ٢٠٣ وما يليها.
- (٨١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٨٧ وما يليها، سحر سالم، أضواء على بعض معابر الحضارة الأندلسية إلى الغرب الأوروبي حتى نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، أحد بحوث كتاب أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٩٥ وما يليها.
- (٨٢) ارجع إلى تحقيق د. مكي لمقتبس ابن حيان، ص ٦٤٩ حاشية ٦٠٥.
- (٨٣) ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة أ. د. السيد عبد العزيز سالم، وأ. د. محمد صلاح الدين حلمي، نشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ١٥٧.